عصره (١ وامام الهداة وافصح الرواة وابلغ الكتبة (٢ والدرّة التي تتوّجت بها هامة الامة المسيحيـة وتلألأ سناؤها في الآفاق العربية (٣ والحبر البحر العلامة المدقق والامام الفاضل الفهامة المحقق (٤ والمتقطع النظير بين الملة المسيحية في علم العربية (٥ الى غير ذلك من النعوت والاوصاف التي انفرد بها عن النظراء والاشباه

وشابهوهُ وماثلوهُ بارسطو في الحجى والحكمة وباياس في الذكاء والفهم وبسحبان في الفصاحة وبقُدامـة في الشعر وبعماد الكاتب في الانشاء وبالتفتزاني والارجاني في الصرف والتصريف وبسيبويه والزمخشري في النحو واللغة وبيوحنّا ذهب في الوعظ والخطابة وبتوما واوغسطين في اللاهوت النظري وبديانا ومالان في اللاهوت الادبي (٦ الى غيرهم من نوابغ الزمان وفحول العلماء ومصاقيع الخطباء وآية اهل العلم ومشاهير اصحاب الادب وليس هذا بكثير في جنب نابغة حاز من العلم الشأو البعيـد ومن الشهرة الذكر المستفيض

لبنان بحث في أنجادهِ واغوارهِ

لحضرة الاب هنري لامنس اليسوعي

ليس بوسعنا ان نصف كل قسم لبنان المختلفة وتفرّعاتهِ المتعدّدة وانّما نذكر منهـا اخصّها ليكون القرّاء على بصيرة من امرها

يبتدئ لبنان جنوبًا عند الوادي العميق الذي فيهِ يـيل الليطاني وعليهِ تشرف قلعة الشقيف في علو ٦٧٠ مترٍ من سطح البحر ثم لا يزال في تصاعد حتى يبلغ ١٠٣٠ مترًا عند جبل جرمق ثم يتّصل بجبل ريحان الذي بهِ دُعيت احدى مديريّات لبنان. واعلى قممهِ هناك ١٦٤٣ مترًا. ثم يزيد علوًّا عنـد قرنين محدّبين يدعيان توأمات نيحا

١) كذا الشيخ سيد الشرتوني وغيره نيقولاوس الصائغ

٢) كذا الخوري نيقولاوس الصائغ ٣) كذا الشيخ سيد الشرتوني

٤) كذا الخوري نعمة الله باخوس والمعلم بطرس البستاني ٥) كذا المعلم بطرس البستاني

٦) كذا الخوري نيقولاوس ونعمة الحلبي

(١٨٥٠ مترًا) يراهما البحّارة عن بعد وكانوا الى القرن الثامن عشر يستدلّوا بهما على موقع صيداء (١

ثم يرتفع الجبل وينضمّ الى بعضه متواصلًا فيسير قطبهُ المركزيّ على خطّ متساوٍ كأنهُ جدار ابرد لا نبت عليه فذاك جبل باروك وفي آخره وهدة ظهر البيدر (١٥٤٢م) تقطع لبنان الى نصفين وهي نقطةٌ مهمّة للمواصلات بين انحاء الشام وفيها تمرّ طريق دمشق والسكّة الحديديّة التي جعلت لبيروت مقامًا راجحًا في سوريّة

على انهُ اذا كان هذا المضيق يقسم لبنان الى قسمين متساويين على التقريب فانّ بين القسمين اختلافًا كبيرًا في الهيئة فان القسم الشمالي يأخذ في الانبساط وتتّسع انجادهُ حتى تبلغ عدّة اميال. منها نجد جبل الكنيسة (٢٠٣٢ م) ونجد صنين (٢٦٠٨ م) الذي على شكل مثلّث عظيم فيهِ الشرفات والاغوار والاودية يلوح لمن يرقبهُ من سهل البقاع كأنهُ بحر عجّاج. امّا من جهة بيروت فينتصب هذا الجبل مع قرنيهِ الشاهقين فيخلب الابصار بمحاسنهِ ووفرة مناظرهِ

وصنّين في علوهِ ثالث جبال لبنان بعد جبل المنيطرة وجبال الارز. ويبعد عن هذه الاخيرة ٢٠ كيلومترًا بينها جبل المنيطرة الممتاز بشبههِ المستطيلة (٢٩١١م) وفي منتهاها مجاز ظهر القضيب يمرُّ بهِ السفر من وادي قاديشا الى بعلبك

ثم تبتدئ اعلى قمم لبنان ومجموع جبال الارز الذي يلوح للناظر من طرابلس او من البقاع كأنهُ سورٌ منيع قائم كالعمود. وهو في الحقيقة نجد واسع مساحتهُ ١٠٠ كيلومتر مربّع وفيهِ سلسلتان متوازيتان مختلفتان وجهتها من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي طولها نحو ١٥ كيلومترًا فيها شعوف ورؤوس متعددة لم يُضبَط حتى اليوم قياس علوها كرأس ظهر القضيب وجبل الكمل والقرنة السوداء وتيارون فترى الجغرافيين يحددون هذه الشرفات حدسًا فلا يتفقون بالقياسات كما ذكرنا سابقًا في بحثنا عن خرائط لبنان (المشرق ٧ : ١٠٦٠). وبيّنّا هناك سبب هذا الاختلاف

كان القائد مَنْسل والضبّاط الانكليز اقتاسوا علوّ هذه المشارف بطريقة الرسوم المثلّثة. وتبعهم الضبّاط الفرنسويون سنة ١٨٦٠ في خارطة البعثة الفرنسويّة دون

---

١) راجع Mémoires du chevalier d'Arvieux II, 467

ان يفيدونا عن طريقة اقيستهم . ثم اورد الجغرافي ر . كيبرت في خارطته قياسات مخالفة للأقيسة الشائعة قبلهُ اخذها عن خارطة الخواجا ع . طعمه وافادنا عن سبب استناده اليه في رحلة البارون فون اوپنهيم (٢ : ٤٠٦ و ٤٠٧) قال : « انهُ فضّل هذه الأقيسة لانَّ صاحبها نالها بواسطة ميزان البارومتر الزئبقي وهي توافق اضبط الأقيسة دون ان نتحقَّق ما بينها من العلاقة » . وهو قول بين المدح والانتقاد يجعلنا في ريب عن صحّة هذه الأقيسة واستقلالها . والحق يقال انَّ في خارطة المسيو كيبرت اوضاعًا غريبة فترى مثلًا حمانا فوق عين صوفر . وعليهِ فانَّنا نفضّل مقاييس المهندسين الانكليز والفرنسويين اذ كانوا مجهَّزين بالادوات المضبوطة لاتخاذ هذه الأقيسة ويُجيدون استعمالها

فدونك بعض امثلة لهذه القياسات لتعرف ما بين الجغرافيين من التباين : ١ً توأمات نيحا . الحساب الشائع انَّ علوَّها ١٨٥٠ مترًا امَّا دينر فانهُ يحسب علوَّها ١٧٨٠ م = ٢ً المضيق بين جبل الكنيسة وصنّين . تتراوح الأقيسة بين ١٧٥٧ م وهو عندنا الاصحّ و ١٥٠٠ م = ٣ً صنين يجعل برتون علوَّهُ ٢٧١٢ م وكيبرت ٢٧٥٠ م . والباقون ٢٦٠٨ م وهو الارجح = ٤ً جبل الارز اعلى شرفاتهِ القرنة السوداء ٣٣٦٠ م (عن ر . كيبرت) ثم تيارون ٣٢١٥ (عنهُ) وهي اقيسة بالتة لم تجدها في غير خارطة كيبرت . وقد سبق ذكر سندهِ في روايتهِ امَّا اصحاب الخرائط الاخرى فانَّهم جعلوا ٣٠٦٦ مترًا لقياس اعلى مشارف الارز وهي ايضًا ارفع قمم لبنان . الَّا ان برتون قد زاد شيئًا على قياس اسلافهِ وهو مع ذلك لم يبلغ قياس كيبرت . وليس لدينا داعٍ يحملنا على نبذ قياسات الاوَّلين

وبعد هذه الملاحظة في اقيسة مشارف لبنان فلنواصلنَّ وصف الجبل . فانَّ جبل الارز شمالًا يهبط نحو ٨٠٠ م فتتَّصل بهِ سلسلة جبل عكَّار (٢١٣٩ م) وطولها ٤٠ كيلومترًا تنتهي شعبُها الاخيرة عند وادي النهر الكبير الذي يحدّ لبنان في شمالهِ كما يحدّهُ الليطاني في شرقهِ وجنوبهِ والعاصي في شمالهِ الغربي والبحر في غربيّهِ

ولوادي النهر الكبير شان خطير في التاريخ والاقتصاد . فانَّ الطبيعة نفسها قد اختطَّت هذه الطريق فانَّها الوحيدة من الاسكندرونة الى حيفا حيث يمكن قطع الجبل بسهولة . لانَّ النهر وبقيَّة العوامل الطبيعيَّة قد بسطت في هذا المكان واديًا متسعًا قليل الانحناء لا يتجاوز اعلاهُ ٥١٠ امتار . وفي طرفيهِ سهلان احدهما شرقي وهو وادي العاصي ينفذ من شمال سوريَّة الى دمشق او سهل البقاع والآخر غربي ينفذ الى

البحر . ولذلك قد اسرعت الامم فابتنت المدن العامرة على طرفي هذه الطريق الطبيعية فشيّدت شرقاً حمص ثم مدينة قدس القديمة التي خلفتها لاذقيّة لبنان . ومن جهة البحر بُنيت بيبرّة التي تعدّد ذكرها في مراسلات تل العمارنة ثم عَرْقة وارواد في الجزيرة المعروفة باسمها واخيراً طرابلس . وقد نالت كل هذه المدن من الحضارة سهماً فائزاً لانّ طريق التجارة كانت تمرُّ بها منذ العصور الخالية . وان كانت طرابلس لم تزل حتى يومنا هذا مدينةً معتبرة وتزيد كل يوم ترقّياً فان الفضل في ذلك لموقعها في طرف هذه الطريق التجاريّة واذا ما اوصلتها يوماً السكّة الحديديّة بداخل البلاد وهو امرٌ قريب المنال كما رأيت اضحت تُجاريةً لبيروت تبارنها في تجارتها وتنوذها

*

هذا ومما يستحقُّ اعتباراً في درس هيئة لبنان واحواله الجغرافيّة صخورهُ التي يتركّب منها . فانّ هذه الصخور كما سبق القول اغلبها من المركبات الكلسيّة . والمعلوم انّ الحجارة الكلسيّة كثيرة التفتُّت تعمل فيها العوامل الجويّة فتحلّلها ولذلك تراها منخورة متقطعة ذات مخاريب وثقوب عديدة كأنها الغربال . وبعض هذه الصخور متراكمة بعضها فوق البعض فيها الشقوق والتخاريم والشرفات يظنُّها الناظر من بعيد انّها بقايا ابنية قديمة . واذا رقيتَ اعالي لبنان من علو ١٠٠٠ متر الى ١٥٠٠ م وجدت من هذه الصخور الهشّة ما يزيدك انذهالاً خصوصاً قرب افقا وريفون وعجلتون ومزرعة كفرديان وتنّورين . وهي قليلة تحت علو ١٠٠٠م واذا فرعت الجبل فوق علو ٢٠٠٠ متر لا تجد منها شيئاً لانّ البرد الذي لا يزال في اكثر السنة قياسهُ تحت الصفر لا يحلّل الصخور بل ينفذ في قلبها ويشقّها شقًّا فترى تِطَعها تمم كل قمم الجبل . حتى انّها في بعض الامكنة تتراكم كأنّ السائر في وسطها يجري في مقطع من الحجارة

وكذلك للصاعقة في هذه القُنن فعلٌ لتوارد الانواء في اعالي الجبل . والصاعقة فضلاً عن ضرباتها وسحقها للصخور تحرّك الريح والهواء بتموّجاتها فتدوي لها الاودية وتتأثر منها جروف الجبال فتتخسف او تتساقط . واذا اضفيت الى عمل الصواعق فعل الزلازل وفعل المياه في سيلانها فهمتَ كيف يتدكُّ الجبل اندكاكاً ويتقوّض فتتحدّر جنادلهُ الى الاعماق جارفةً في مسيرها التربة والنبات

فكل هذه العوامل للخراب تقرّب الى الفهم رأي العلامة ديفر في تركيب

لبنان (١ حيث يقول انَّ علو لبنان كان في الاعصار السالفة السابقة لعهد التاريخ اعلى منهُ اليوم بنحو ٣٠٠ متر فلم تزل دواعي الدمار تسحوهُ وتجرف تربتهُ الى السهول حتى صار على ما هو اليوم. وهذا امر محتمل فافترض انَّ في كل جيل تجرف عوامل الطبيعة خمسة امتار من رأس الجبال فلا يلبث ان يصحّ حساب دينر. وان كان هذا القول صواباً ادركنا صحّة قول الأقدمين بان جبلنا كان سابقاً متوَّجاً بثلوج مخلَّدة فدُعي لهذا السبب بلبنان اي الجبل الابيض

ومن مفاعيل هذه الجروف المائيَّة المغاور والكهوف التي يمتاز بها لبنان. فانَّ الطبقات الكلسيَّة الافقيَّة الشكل او المنحرفة انحرافاً خفيفاً كثيرة في الجبل يعترض بينها شقوق او اقسام مختلفة التركيب والصلابة بينها قطع سريعة التفتُّت وشبكة الانحلال. فاذا جاءت العوامل الخارجيَّة جرفت الأقسام الضعيفة الباطنيَّة وتركت الطبقة الكلسية العُليا فاضحت الصخور على شبه السَّقف. وهكذا كانت قديماً تلك المآوي الاوَّليَّة التي كان يسكن تحت ظلّها السكّان الاقدمون. وبعض هذه المغاور قد احتفرتها عوامل الجوّ والمياه معاً اذ تسرَّبت الى باطن الصخور فأكلَّتْ قسماً منها وتركت وسطها خلواً على صور اغوار واسعة وكان للبعض منها مداخل طبيعيَّة ضيقة فجرت المياه مارَّة بها فوسَّعتها وجعلت لها دهاليز. كما ترى مغارة انطلياس العليا المعروفة بمغارة البلاني وكمغارتي نهر الكلب اللتين نضبت اليوم مياههما ولا يزال حتى الآن يظهر فيهما اثر الماء

وكثرة هذه المغاور القديمة مكَّن قبائل عديدة من سكنى لبنان في الاعصار الخالية كما اثبت ذلك الاب زُمونن في المشرق (١: ٩٧ و ٣٥٣) ومن هذه الكهوف الطبيعيَّة ما اصلحهُ الناس وزادوا في توسيعه لمَّا ليتخذوهُ مدافن لموتاهم واماً ليأووا اليه مع قطعانهم او ليسكنوهُ زهداً كما ترى في مغاور الفرزل وعدلون وهرمل (المشرق ١: ١٠٠ و ٤: ٣٦٥). وربَّما اضافوا اليه البنايات العظيمة فصارت هذه المغاور كتم من اديار الرهبان كما ترى في قزحيا وقنُّوبين. ومنها ما زيد في تحصينه فاضحى كالقلاع المنيعة مثل قلعة نيحا الشهيرة في تاريخ القرون المتوسطة باسم شقيف تيرون. وهي عبارة

١) راجع كتابهُ Libanon, p. 384-385

عن صخر قائم عمودياً على علوّ ٣٠٠ امتار. وفي وسطه كانت عدّة كهوف وسّعها البنّاؤون فسكنها الجند. ولا يبلغ الصاعد هذه المغاور الّا بمرقىً صعب الارتقاء. وفي هذه القلعة تحصّن الامير فخر الدين المعنيّ في القرن السابع عشر كما ورد في تاريخ لبنان. وقد وجدنا في هذا المكان كتابة على اسم الملك الظاهر بيبرس وكان انتزعهُ من ايدي الفرنج

وكذلك تُنسب الى جرف المياه الجسور الطبيعيّة التي في لبنان. فانّ للمياه المتجمّعة سورةً تمكّنها من كل الحواجز التي تلقاها في سيلها ما لم تجد طريقًا اخرى لتحيد عنها. فتراها تصدم الصخور وتنخرها في اقسامها الاقل صلابةً فتفتح لها مجرى يتّسع يوماً بعد يوم حتى تجري في سيلٍ واسع وتبقى الصخور الصلبة فوقها على شبه جسر طبيعيّ. وطبقات هذه الجسور التحتانية كثيرًا ما تسقط لضعف دعائمها التي تجرفها المياه لتسلّط العوامل الجوّية عليها. وهكذا ذهب الزمان بقسم من هذه المعابر الطبيعيّة التي كانت تجمع بين معاطف اودية لبنان وتجري فيها السيول الجارفة. وانّما بقي منها بعضها الآخر

فمن هذه الجسور معبر طبيعي ليس بمعتبر عند العاتورة وهو عبارة عن صخور ثقبتها سيول المياه على شبه القبّة. واعظم منهُ شأنًا الجسر القريب من نهر اللبن المعروف بجسر الحجر تراهُ فوق السيل كالقوس العظيمة وهو يحلّق على علوّ ٦٠ مترًا وطولهُ ٣٠ م في عرض خمسة امتار. ومن نظر اليهِ عدَّهُ طرفةً من طرف الدهر قد شادتهُ الطبيعة وجعلتهُ كآية من آياتها التي تسبي القلب بعظمها وحسن صنعها. وفيهِ من التناسب والاحكام ما حمل بعض الكتبة على ان يزعموا بان ايدي البشر ساعدت على تركيبهِ. وهو قول بعيد

ثم يوجد جسر طبيعي ثالث على منعطف لبنان الشرقيّ يمتدّ فوق وادي الليطاني الرّهي وموقعهُ على بعد نصف الساعة غربًا من قرية يحمور في وسط الطريق بين جزين وحصيا. وهو حتى اليوم معبر للسابلة بين القريتين. يدعونهُ جسر القوّة. ونهر الليطاني يسيل تحتهُ على عمق نحو ١٠٠ قدم وطولهُ ٢٢ قدماً ومعظم عرضهِ ٦٨ قدماً ثم يضيق الى تسعة اقدام. وتعلو هذا الجسر طبقة من التربة تنبت فيها الاعشاب والدَّغل

ولنختم هذا الباب بذكر النقطة التي عندها تنتهي المساكن. وهو خط يصعب

تحديده لقلّة الاقيسة القانونية الدالّة على علو الضياع والقرى. ثم انّ هذا الخط يختلف مع اختلاف احوال الجو فانّ لبعض الامكنة موقعاً حسناً يصونها من هبوب الرياح فيمكنها ان تُشاد في معالي الجبل ولولا حُسن موقعها لما امكن الاهلين سكناها. وفي اورنة قائمة السكّان الذين يبيتون في القرى فوق ١٢٠٠ متر لا يتجاوز ٣٠٠٠٠ نسمة. اما لبنان فان القرى التي فوق هذا العلو فتعددة كبكنتا مثلاً (علوها ١٤٣٠ متر) وعين صوفر (١٣٠٠ م) والعاقورة (١٤٠٠ م). واقل منها الضياع التي فوق ١٥٠٠ متر وهي عيناتا (نحو ١٧٥٠ م) واليسُّونة (نحو ١٥٤٠ م) وعزرته قرية صغيرة شمالي غربي زحلة (١٥٤٠ م) (١. وفي الجبّة قرى عديدة علوها قريب من ١٥٠٠ م كاهدن وبشراي والحدث. اما فوق علو ١٨٠٠ متر فلا تجد الّا اكواخاً ومآوي للرُّعاة. وربّما اختلف الكتبة في تعيين العلو لاختلاف مواقع اقيستهم في القرية نفسها. ومن المعلوم انّ بعض القرى تشغل في الجبل نحو ١٠٠ م بين اسفل دورها واعلاها

لمّا النقطة التي ينبت فيها النبات فهي كما لا يخفى اعلى من نقطة المساكن البشريّة فانّ بعض مزارع لبنان موقعها على علو ١٨٠٠م بل ٢٠٠٠. الّا انّ هذه المزدرعات الاخيرة لا تكون الّا في الاودية والاغوار التي هي بمعزل عن الرياح. وترى في هذا الارتفاع شجر البلوط العادي الكبير الاثمار وشجر البطم البري والشوح والخرخ البري وبعض شجر العرعر ضخم عظيم وطول باسق واشهر لشجار لبنان الارز الذي موقعهُ على علو ١٩٢٥ م

عاديّات سوريّة المكتشفة حديثاً

نظر للاب لويس جلابرت اليسوعيّ مدرّس العاديّات اليونانية في مكتبنا الشرقي (تابع)

٣ امّ العواميد (او امّ العَمَد)

ذكرنا في العام الماضي الآثار الفينيقية المكتشفة في امّ العواميد جنوبيّ صور. وقد

١) يزعم لورته في كتابه سورية الحالية (ص٦٣٤) انّ علوّ عيناتا ١٨٠٠ م وعلو اليسُّونة ١٦٥٠ م لكنّ هذه اقوال تخمينية لا يُستند اليها. ويجعل كيبرت علوّ عيناتا ١٦٨٠ م واليسونة ١٤٤٠م وهذا دون التياسات المقبولة. (راجع مقالة للاستاذ الاميركي وست PEF, l. c., West)